الإستراتيجية الحوارية لابن رشد الجد في كتابه البيان والتحصيل

عمامرة خيرة

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا-جامعة عمار ثليجي -الأغواط-

توطئة:

الحوارية[*] (**DIALOGISME**) التي نقصدها في هذا الدراسة. هي الحوارية التي "تعد سمة أساسية لكل خطاب، باعتبار أن هذا الأخير لا ينتج بصفة فردية"[1]، فالخطاب مهما كان نوعه كتابيا أو شفويا، وإنما ينطلق المتكلم في إنتاجه من استحضاره لمتلقيه، سواء أكان هذا المتلقي حقيقا ماثلا أمامه، أو تخيليا يشتقه المتكلم من ذاته أثناء وقبل عملية إنتاج النص الموجه إليه. باعتبار أن «مبدأ الحوارية يصبغ كل الخطابات الصادرة عن الإنسان مهما كان نوعها، إذ كل خطاب يخضع لحضور المرسل والمتلقي، وأي خطاب صادر عن المتكلم فهو موجه بالضرورة إلى مستمع حاضرا كان أم غائبا»،[2] فيؤدي استحضار المتلقي إلى إحداث أثر بالغ على بنية الخطاب، التي تتلون بألوان الحال التي يفترضها للمخاطَب، فيسعى المخاطِب إلى «استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة، وجعل المعني بها يعيها ويتحرك في إطار إنجازها »[3].

وعملنا في هذا الدراسة سيكون محاولة لاستكشاف أهم الآليات التواصلية التداولية، التي وظفها ابن رشد الجد (تمييزا له عن ابن رشد الحفيد) في كتابه البيان والتحصيل قصد تحقيق أغراض تداولية معينة، شكلت تجسيدا للاستراتيجية الحوارية التي تجلت بوضوح في متن كتابه .الذي يعد واحدا من أعمال الفقهاء التي لامست بعضاً مما يندرج في الإطار التداولي، مثل ما ورد عن ابن تيمية في الفتاوي، وابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين، وغيرهم كُثر[4].

وقد اعتمدت في انجاز هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع أهمها: كتاب "**البيان والتحصيل** "لابن رشد (الجد)، وكتاب "**تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة** "للدكتورة آمنة بلعلى،و كتاب "**إستراتيجيات الخطاب**" لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب "**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**" لطه الرحمٰن .إلى جانب مجموعة أخرى من المصادر والمراجع العربية والأجنبية والمترجمة .

أما عن الجانب التواصلي في الخطاب الفقهي الذي تنتمي إليه المدونة ، فيمكن رصده من خلال "تشكل النص ذاته بعده فعلا خطابيا يتم بين متكلم ومخاطب"[5]. أضف إلى ذلك "العناصر المشتركة بين طرفي الخطاب، والمعرفة المشتركة والظروف الاجتماعية العامة بما تثيره من الافتراضات المسبقة والقيود التي تؤطر عملية

التواصل[6]. وهذا ما سنحاول فعله فيما سيأتي لأن "فهم أي نص يقتضي قدرة الإجابة عن الأسئلة التداولية التالية: لماذا ؟ما الهدف المنجز لأجله؟ ...من أنتج النص؟...الخ[7].

وقد غصت دراسات علمائنا القدامى على اختلاف أطيافهم ومرجعياتهم الفكرية ،سواء أكانوا نحاة أم بلاغيين أم أصوليين، بمباحث لا تكاد تختلف عما تناوله أعلام التداولية ،من حيث عنايتهم بالمخاطَب والمخاطِب ،والمقام الذي يجري فيه الحدث الكلامي، ومقاصد المتكلمين، والعملية التواصلية عموما. واجتماع هذه القضايا في المنظومة اللسانية التراثية يدفع الباحث دفعا حثيثا إلى تأصيل البعد الاستعمالي في التراث العربي [8].

1-البعد التواصلي في كتاب البيان والتحصيل:

وأول ما نبدأ به هو إعطاء لمحة حول حياة الفقيه الأندلسي محمد ابن رشد القرطبي الجد أولا ثم لمحة حول كتاب البيان والتحصيل ثانيا.

أولا: هو أبو الوليد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي (450هـ-1085م-520هـ-1126م)-جد الفيلسوف المعروف- أنبه فقهاء المالكية ذكرا في عصره. وقد تولى قضاء الجماعة في قرطبة. إذ كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره. عارفا بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيرا بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم. نافذا في علم الفرائض والأصول [9].

وقد كان محمد بن رشد" بإجماع من ترجموا له-ناسكا عفيفا –كريم الخلق سهل الحجاب. كما كان أستاذا بطبعه، يحب التدريس ويحسن طرق التبليغ، تسعفه مادة غزيرة، وتفكير منظم، وعبارة منطلقة، وحرص على نفع الطلبة[10].أما مؤلفاته فقد ألف محمد بن رشد الجد غير البيان والتحصيل:

-كتاب المقدمات و الممهدات.

-نوازل ابن رشد في مجلد ضخم جمعها تلميذه أبو الحسن ابن الوزان(ويسمى أيضا الفتاوى والأجوبة).

-اختصار المبسوطة ليحي بن إسحاق بن يحي الليثي .

– تهذيب مشكل الآثار لأحمد الطحاوي الحنفي .

-النوادر.

-المسائل الخلافية.

-حجب المواريث.

-اختصار الحجب على مذهب مالك بن أنس مما روي عن زيد بن ثابت.

- فهرسة[11].

ثانيا :يعد كتاب "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة" للفقيه الأندلسي أبي الوليد ابن رشد الجد (تمييزا له عن ابن رشد الحفيد الفيلسوف) من الكتب الفقهية المتميزة في تاريخ الفقه الإسلامي لأنه استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين لمحمد العتبي ومدونة القرويين[*] اللتين كان فقهاء الغرب الإسلامي في القرون الأولى يحفظونهما على ظهر قلب. وعن محتواه يقول محققه محمد حجي في مقدمته :"يطابق اسمه مسماه بيانا وتحصيلا وشرحا وتوجيها وتعليلا لمسائل المستخرجة لمحمد العتبي، من أسمعة تلامذة الإمام مالك بن أنس منه، استغرق تأليفه اثني عشرة سنة أودعه ابن رشد جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية المستوعبة للمدونة، وما كتب عليها أئمة المذهب في نحو أجيال من شروح واختصارات وتعليقات، ومن تأملاته وتجاربه الشخصية في التدريس والإفتاء والقضاء، فجاء البيان والتحصيل خلاصة وافية محيطة بالفقه المالكي عباداته ومعاملاته في أسلوب جزل مشرق حبا الله به علماء الأندلس وأدباءها "[12].

أما عن تأليف محمد بن رشد لكتاب "البيان والتحصيل "فقد صرح عن سبب ذلك في مقدمة كتابه بأن جماعة من فقهاء جيان أصحاب ابن رشد جاءوه في صدر عام 502هـ وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليه في كتاب الاستلحاق من العتبيّة، فمر بمسألة أشكلت على القارئ والحاضرين ،فشرحها لهم بما أزال غموضها ورغبوا إليه أن يتتبع عويص هذا الكتاب بالشرح والبيان ،فرد عليهم ابن رشد بان العتبيّة كلها بحاجة إلى توجيه وتوضيح. وذلك في قوله:" **فإن من أسباب الخير التي يسّرها الله تبارك وتعالى من فضله ، وسبّبها بمنه وطوله، أن دخل عليّ في صدر سنة ست وخمسمائة بعض الأصحاب من أهل جيّان، وبعض الطلبة من أهل شلب يقرأ عليّ في كتاب الاستلحاق من العتبيّة، فمر في قراءته عليّ بحضرته بأول مسألة من سماع أشهب، وهي من المسائل المشكلة[...] فأشكلت على القارئ المسألة كما أشكلت على من سواه[...] وسألني أن أبينها عليه ففعلت[...] فسر بذلك هو ومن حضر المجلس وقالوا والله لقد ظهرت المسألة وارتفع الإشكال منها، وكم من مسألة عويصة في العتبيّة لا يفهم معناها وتحمل على غير وجهها، فلو استخرجت المسائل المشكلات منها وشرحتها لأبقيت بذلك أثرا جميلا يبقى عليك ذكره، ويعود عليك ما بقيت الدنيا أجره، فقلت لهم: وأيّ المسائل هي المسائل المشكلات منها المفتقرة إلى الشرح والبيان. من الجليّات غير المشكلات التي لا تفتقر إلى كلام ولا تحتاج إلى شرح وبيان ؟! فقل مسألة منها وإن كانت جلية في ظاهرها، إلاّ وهي مفتقرة إلى التكلم على ما يخفى من باطنها**"[13]. فقد أعلن ابن رشد منذ البداية عن الفئة الخاصة التي استهدفها بخطابه ،ويوضح حرصه على الاهتمام بتحقق الفائدة والإفهام من خطابه لدى المتلقي في قوله:" **فلما سمعوا ذلك من قولي تنبهوا له وشرهوا إليه وحرصوا عليه، ورغبوا إلي فيه في غير ما موطن أحادا مفترقين ،وجماعة مجتمعين، فتوقفت عن ذلك مدة مخافة العجز عن بلوغ الغرض والبغية فيه بتمامه، بقاطع يحول دون إكماله .ثم إن الله تعالى شرح صدري للشروع فيه، بعد أن خلصت النية في ذلك لله عز وجل رجاء الأجر على ذلك من الله عز وجل والمثوبة ،ودعوت ضارعا في التوفيق والمعونة، ورجوت ان يجازي الله على النية في تمامه إن حال قاطع دون ذلك.** [14]. ثم يشرع في تفصيل كيفية تقديمه لمسائل كتاب البيان والتحصيل في قوله:" ...**فشرعت فيه وبدأت بكتاب الوضوء من أول الديوان مسألة مسألة على الولاء، أذكر المسألة على نصها ،ثم أشرح من ألفاظها ما يفتقر إلى شرحه، وأبين من معانيها بالبسط لها ما يحتاج إلى بيانه وبسطه ،وأحصل من أقاويل العلماء فيها ما يحتاج إلى تحصيله، إذ قد تتشعب كثير من المسائل وتفترق شعبها في مواضع، تختلف الأجوبة في بعضها باختلاف القول فيها، فأبين موضع الوفاق منها من موضع الخلاف ،وأحصل الخلاف في الموضع الذي فيه منها الخلاف، وأذكر المعاني الموجبة لاختلاف الأجوبة فيما ليس باختلاف، وأوجه منها ما يحتاج إلى توجيه بالنظر الصحيح والرد إلى الأصول والقياس عليها، فإن تكررت المسألة في موضع آخر دون زيادة عليها ذكرتها في**

موضعها على نصها، وأحلت على التكلم عليها في الموضع الأول، وإن تكررت في موضع آخر بمعنى زائد يحتاج إلى بيانه والتكلم عليه كتبتها أيضا على نصها وتكلمت عليها فيه من الرسم والسماع الذي وقع الكلام فيه عليها، ليكون كل من أشكل عليه معنى من المعاني في أي مسألة كانت من مسائل الكتاب طلبها في موضعها من الكتاب، فإما أن يجد التكلم عليها فيه مستوفى، وإما أن يجد الإحالة على موضعه حيث تقدم "[15].

فنحن نلاحظ من خلال ما سبق أن ابن رشد قد حرص من خلال المنهجية التي اتبعها في شرح المسائل الفقهية اتباع آليتين تواصليتين من شأنهما أن تضمنا لخطابه تحقيق القصد المطلوب وهما تحقق الإفادة والوضوح :

–أولا: آلية الإفادة ويراد بها "حصول الفائدة لدى المخاطَب من الخطاب ،ووصول الرسالة الإبلاغية إليه على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده "[16]. أي أن يفهم المتلقي من الخطاب ما يريد المتكلم أن يوصله. ولا تتحقق الإفادة لدى المتلقي وجب "أن تكون العبارة معينة ودالة، وإذا فقدت هذين الشرطين فقدت أهم شرط في صحتها، وهو حصول الفائدة لدى المتلقي "[17].

–ثانيا: آلية الوضوح: ويتجلى الوضوح عند ابن رشد في تجنب كل ما من شأنه أن يكسب خطابه الغموض، أو التعقيد، أو الإبهام عند المتلقي. وذلك من خلال الشرح المستفيض في المسائل الغامضة والتي يكثر الجدل حولها، وإلى الإشارة الموجزة في حالة إعادة المسألة حتى يتجنب الإثقال على المتلقي، أو البينة التي لا تحتاج لشرح مستفيض.

وقد حرص ابن رشد على إقامة التواصل مع متلقي خطابه عبر استعماله إستراتيجية حوارية تمثلت في النص من خلال استعماله لعبارات من قبيل:

- ✓ **"وقول ابن القاسم في آخر المسألة: وقضى بعد الفراغ ركعة بسجدتيها، لفظ ليس على ظاهره وليس بقاض ، فتدبر ذلك، وبالله التوفيق "**[18].
- ✓ **"قد مضت هذه المسألة والقول فيها موعبا في آخر رسم من سماع ابن القاسم فقف عليه هناك "**[19]
- ✓ **"هذا خلاف ما مضى في رسم إن خرجت، ومثل ما في الرسم الأول من سماع أشهب، والقولان قائمان من المدونة، وقد مضى القول في ذلك على مسألة سماع أشهب المذكور ،فقف عليه "**[20].
- ✓ **"في المدونة :إنه يجبر على نفقة امرأة واحدة من زوجات أبيه أو ربيبة، وقال المغيرة في غير المدونة، ومحمد بن عبد الحكم: لا يلزم الإنفاق على ربيبته، وإنما ينفق على أبيه وأمه، ورواية أشهب هذه قولة ثالثة بين القولين ،فقف على ذلك، وبالله التوفيق لا شريك له "**[21].

إن هذه العبارات تأتي لتفعيل الدور الخطابي وتمكينه من نفس المخاطب، كما أنها تؤدي وظيفة نفسية تدخل ضمن استمالة المخاطب، وأخرى إقناعية، إضافة إلى أنها تعكس ضمنيا الرغبة من قبل المتكلم في نيل الحظوة والاحترام من أجل الانصياع لكلامه، الذي غالبا ما كان مشتملا على معارف ومفاهيم[22]. فكان يعرض أفكاره عبر شرحه للمسائل الفقهية على نحو يضمن له أكبر قدر من تجاوب المتلقي وتفاعله معه. .

هذا على مستوى ظاهر الخطاب، أما على المستوى الخفي من الخطاب فنجد أن من الآليات التواصلية التداولية التي جسدت الإستراتجية الحوارية بوضوح في كتابه، والتي وظفها ابن رشد قصد تحقيق أغراض تداولية معينة، نجد الافتراض المسبق الذي يجسد البعد التلميحي للخطاب وما لهذا البعد من أثر في العملية الحوارية وفي تغيير المعتقدات، وممارسة فعل الاقتناع من دون سلطة ظاهرة[23]، ذلك أن التواصل هو نقل فائدة القول الطبيعي نقلا يزدوج فيه الإظهار والإضمار"[24].

2– الافتراض المسبق (Presupposition) والتشكيل الخطابي:

لا يُنتج المتكلم خطابه غفلا عن اعتبار السياق بكل عناصره الداخلية والخارجية، التي يأخذ المرسل إليه ضمنها دورا بارزا "فيمارس بشكل غير مباشر دورا في توجيه المرسل عند اختياره أدواته، وصياغة خطابه، وذلك بحضوره العيني أو الذهني، وانطلاقا من علاقاته السابقة بالمرسل وموقفه منه، ومن الموضوعات التي يتناولها"[25]. ومن ثم فإن «بناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة حال المخاطب أو افتراض ذلك الحال»[26]، ذلك أن المتكلم يأخذ بعين الاعتبار في إنتاج خطابه كل المعارف المتاحة لديه عن المتلقي، حتى ينجز خطابه الهدف المنوط به، وقد لا تكون هذه المعارف كلها متاحة له في أغلب الأوقات. فيلجأ المتكلم إلى بناء خطابه على مجموعة افتراضات مسبقة، تقوم على تصور حال المتلقي ورد فعله، التي يصطبغ بها التشكيل اللغوي للخطاب، مع عدم التصريح بها ذلك أن "الخطاب الجمالي لا يومئ بنفسه معناه، أو موضوعه الذي يقصد إليه، وإنما يكتفي بتوجيه أفعال الفهم والبناء، التي تنتهي إلى

تشكيل المعنى ووعي القارئ، أثناء عملية القراءة" [27]. بحيث يكون الخطاب بدوره "منطلقا للمتلقي في بناء افتراضاته للتأويل، فيسعى من خلال هذا الفعل إلى استنتاج مقاصد المبدع والوصول إليها"[28].

وقد احتفى ابن رشد بالمخاطب في إنتاج خطابه، فتلون خطاب البيان والتحصيل بألوان هذا المتلقي الذي يتم استحضار وضعيته النفسية والاجتماعية في ذهن المخاطِب، سواء أكان حضوره حقيقيا أم افتراضيا. وتبني ابن رشد لنظام المخاطبة هذا يوفر لخطابه آليات للتوالد، تجعل المتلقي يقرأ نصا ديناميًا مليئًا بالحرارة والصدق، بفعل المثيرات الخطابية المتعددة[29]. ومن الظواهر اللغوية التي تعد في كتاب البيان والتحصيل انعكاسا لافتراض حال المتلقي وردود فعله: ظاهرة الإطناب والإيجاز، التي كانت انعكاسا للمعرفة الحوارية المتعلقة بمقتضيات الكلام، أو بما سبق من مخاطبات بين المتحاورين في نفس المقام أو في نفس المقام أو في غيره من مقامات الكلام ، وواضح أن هذه المعرفة أخص المعارف المشتركة، ذلك أنها ثمرة التفاعل الحواري، ولا يتمكن منها إلا من شارك في هذا التفاعل"[30].

2-1- الإطناب:

يعرفه ابن الأثير بقوله :«هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة»[31]، والإطناب بهذا المفهوم في كتاب البيان والتحصيل جاء ملائما للحال التي افترضها المتكلم للمتلقي، وللظروف المحيطة بهما، وقد قيل قديما «أن يكون الخطيب أو المترسل عارفا بمواقع القول وأوقاته، واحتمال المخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، وألا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة على الإضجار والملالة»[32]. فالإيجاز في موضعه بلاغة كما أن الإطناب في موضعه الملائم بلاغة أيضا، وهذا ما نجد قاعدة الكم من قواعد التعاون لـ(غرايس) قد نصت عليه: بأن لا تجعل قولك يفيد أكثر مما يقتضه السياق، وإنما تجعل قولك بقدر ما يقتضيه السياق[33]، فالإطناب كما يقرره عبد الله صولة أيضا يكون مدعاة للتفاعل مع الخطاب وتمثل ما جاء به توجيهات، وذلك بأن "الأسلوب العجل يدعم توجيه الخطاب الاستدلالي، والأسلوب البطيء يحدث لدى سامعيه الانفعال ويحرك عواطفهم"[34].

وأمثلة هذا الاطناب عند ابن رشد في معرض تفصيله للمسائل الفقهية بالشرح كثيرة جدا ومنها قوله: في شرحه لمسألة رفع الصوت بالتلبية "**قال محمد بن رشد :وهذا كما قال مالك رحمه الله إنه ليس عليه أن يصيح بالتلبية جدا حتى يعقر حلقه ،إذ ليس في الحديث أن يصيح بالتلبية بأعلى صوته ،وإنما فيه أن يرفع بها صوته، فيجزيه من رفع صوته بها ما يكون إذا فعله يسمى رافعا لصوته، ولا يعارض الأمر برفع الصوت بالتلبية ما روي من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا من المدينة رفع الناس أصواتهم بالتكبير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيها الناس ارفقوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق أكتافكم"، لأن هذا في غير الحج، وشأن الحج رفع الصوت فيه بالتلبية لأنها شعاره ،وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحج أفضل؟ قال: "العج والثج، فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج نحر البدن، "فبأن الحج في رفع الصوت بالتلبية فيه عما سواه** "[35].

وقوله أيضا: في مسألة من وجد اللقطة في قرية ليس فيها إلا أهل الذمة "**قال محمد بن رشد: هذا قول فيه نظر: إذ في الإمكان أن تكون لمسلم وإن كانت وجدت بين أهل الذمة، فكان الاحتياط أن لا تدفع إلى أحبارهم إلا بعد التعريف لها استحسانا لقلة الظن أنها لهم على غير قياس، فإن دفعت إليهم بعد التعريف لها ثم جاء صاحبها غرموها له، وإنما كان يلزم أن تدفع ابتداء إلى أحبارهم لو تحقق أنها لأهل الذمة بيقين لا شك فيه مع من يقولوا إن من ديننا أن يكون حكم اللقطة لأهل ملتنا مصروفا إلينا، وأما إذا لم يتحقق ذلك فكان القياس أن لا تدفع إلى أحبارهم وتكون موقوفة أبدا وبالله التوفيق** "[36].

فالإطناب قد جاء بناء على افتراض مسبق يقوم على تصور الأسئلة التي يمكن أن تراود المخاطب حيال المسألة موضوع الخطاب، فيكون ذلك داعيا لأن يبسط فيها الكلام، وقد قال الخليل قديما «يختصر الكتاب ليحفظ، ويبسط ليفهم»[37]. ومن ثم فالإطناب في كتاب البيان والتحصيل كان لتحقيق أغراض تواصلية لها ارتباط بالعملية التواصلية، التي ينشأ ضمنها الخطاب.

2-2-الإيجاز :

أما الإيجاز فيظهر مثلا عند ابن رشد عندما يكون قد شرح المسألة في موضع وعند إعادتها في موضع آخر يكتفي بالإشارة لها دون أعادتها كاملة مفترضا بذلك أن المتلقي على علم بها مثل قوله في مسألة رجل أسلف رجلا درهما فيه نصف، فجاء الذي تسلف بدرهم فأعطاه إياه وقال له فيه نصف قضاء لك فأعطيني بالنصف الباقي تمرا، قال لا خير فيه:" **قال محمد بن رشد: هذه المسألة قد تكلمنا عليها في رسم سلف من سماع ابن قاسم، وذكرنا أنها تتخرج على قولين، فلا معنى لإعادة ذكر ذلك**"[38]. فابن رشد "يضمر ما

علمه المخاطب، ويظهر ما جهله، حتى إنه إذا تعاطى لإظهار ما علمه المستمع، ذهب هذا الأخير إلى افتراض أن للمتكلم قصدا مخصوصا لا يدل عليه صريح اللفظ"[39].

وقوله في مسألة أخرى عن المبيت في المسجد **"قال محمد بن رشد: قد مضى هذا المعنى في هذا الرسم وفي أول الرسم الذي قبله فلا معنى لإعادة القول فيه"** [40]. وقوله أيضا في مسألة من مر تحت السقائف فيقع عليه ماء،**"قال محمد بن رشد: قد مضت هذه المسألة في هذا الرسم بعينه من هذا السماع من كتاب الوضوء، وزاد فيها من سماع عيسى منه زيادة فيها تفسير"**[41]. ومن أمثلة الإيجاز أيضا الشرح الموجز للمسألة البينة التي لا تحتاج إلى الإطالة مثل شرحه لمسألة المسح على الحائل في الوضوء **"قال محمد بن رشد: وهذا كما قال، لأنه مما تدعو إليه الضرورة، فيمسح عليها كالجبيرة"** [42] .

فالهدف من الإيجاز في كتاب البيان والتحصيل أنه قد يكون إما:

- **للاحتراز من التطويل:** وهذا لتجنب سآمة المخاطب من الاجتهاد في طلبه ،وايقاع المخاطب في حشو الكلام ، واحساس المخاطب بأن بعض أجزاء الكلام من باب إيضاح الواضح ،وبيان البين .

- **القصد إلى الإيجاز:** وذلك أن يكون الإيجاز في الكلام أبلغ أثرا في المستمع مما لو عمد المتكلم إلى بسط كلامه بسطا، ذلك أن المشاركة المطلوبة من المتلقي في تقدير ما حذف من الكلام تجعله وكأنه قد وصل إليها بمحض إرادته .

- **العلم بالمضمر** :الغالب على المتكلم أن لا يذكر في كلامه إلا ما كان يعلم أن المتلقي يحتاج إلى معرفته ،معتمدا في ذلك على قدرة المتلقي على استحضار المحذوف ،إما لوضوحه أو لقربه أو لشهرته، فتكون عناية المتكلم بالكلام على حسب حال المتلقي من الإدراك، وعلى قدر مشاركته له في بعض الفوائد والمعلومات، فيضمر ما علمه المتلقي، ويظهر ما جهله"[43].

ولعل الجلي في خاتمة هذه الدراسة أن الكاتب قد وعى أهمية المخاطب، وأهمية التواصل معه في سبيل تحقيق الهدف من العمل الذي يقوم به. وفي هذا يقول د. طه عبد الرحمٰن "أن المتكلم يتكلم كما لو أن المستمع يشاركه كلامه مشاركة ،بل كما لو أن المستمع هو الذي يتكلم، أو إذا جاز لنا التعبير، كما لو كان المتكلم يحمل لسان المستمع في فيه "[44] .

الخاتمة :

وفي الأخير فإن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي:

- ✓ كفاية الإجراءات التداولية لتحليل الخطابات الفقهية ، وذلك لأنها استطاعت الإجابة عن عديد الأسئلة التي عجزت المقاربات السابقة الإجابة عنها.
- ✓ كتاب "البيان والتحصيل" لابن رشد ينتمي إلى الخطاب الفقهي، الذي يعتبر من الكتب الفقهية المتميزة في تاريخ الفقه الإسلامي لأنه استوعب مسائل مستخرجة الأندلسيين لمحمد العتبي ومدونة القرويين شرحا وبيانا وتحصيلا.
- ✓ أقام ابن رشد تواصله مع متلقي خطابه من خلال استعماله للإستراتيجية الحوارية تجلت بوضوح من خلال عدة آليات تداولية منها الافتراض المسبق، الذي كان ثمرة للتفاعل الحواري، الذي لا يتمكن منه إلا من شارك في هذا التفاعل. إلى جانب توخي ابن رشد لآليتي الإفادة والوضوح في خطابه حتى يتسنى لخطابه تحقيق الغاية المنوطة به .
- ✓ استجابة النص الفقهي كغيره من الخطابات الأخرى (الأدبية، السياسية....) للإجراءات التداولية .

الهوامش:

* الحوارية هنا لا نقصد بها تناص النصوص، ينظر :مرتاض (عبد المالك)، نظرية النص الأدبي، دار هومة ، الجزائر،(2007).،ص04 .

1. الطلبة (محمد سالم محمد الأمين) ،الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) ،،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ، لبنان،ط1، (2008)، ص177 .
2. بلخير (عمر)، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائر – المكتوب ما بين 1989-2000، (أطروحة دكتوراه)،جامعة الجزائر، الجزائر، (2005-2006)، ص160.
3. المرجع السابق نفسه ، ص175 .
4. الشهري، استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ،ط1،(2004).ص09(مقدمة) .
5. بلعلى(آمنة) ،تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،(2002)، ص6 .
6. المرجع السابق نفسه ،ص39 .
7. Catherine kerbrat Oreichioni,Les actes de langage dans le discours, Nathan , Paris , (2001),p159.
8. كادة(ليلى)،المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية –ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا-،مخطوط (أطروحة دكتوراه في علوم اللسان، جامعة الحاج لخظر-باتنة-الجزائر، ص3.
9. بالنثيا (أنخل جنثالث)،تاريخ الفكر الأندلسي، تر:حسين مؤنس،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1،(1955)،ص327.

10. ابن رشد(أبو الوليد)،البيان والتحصيل ،تح:محمد حجي،ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2،(1988)،ص14(مقدمة المحقق).
11. ينظر:المصدر نفسه،ص18-19.
* المستخرجة وتعرف أيضا بالعتبية نسبة لمحمد العتبي(255هـ) ونسبت للأندلسيين لأنهم أخذوا بها بينما أخذ القيروان بمدونة الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت234هـ).
12. المصدر السابق نفسه،ص5.
13. المصدر نفسه،ص26-27.
14. نفسه ،ص 29.
15. نفسه ،ص29-30.
16. صحراوي (مسعود)، الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، مخطوط (أطروحة دكتوراه)، باتنة ،الجزائر ،(2003-2004)، ص262.
17. نفسه، ص 263.
18. ابن رشد ، البيان والتحصيل ، ج1، ص512.
19. نفسه ، ج1 ،ص511.
20. نفسه ، ج2، ص51.
21. نفسه ،ج5، ص480.
22. ينظر: بلعلى آمنة، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص101 .
23. بلعلى (آمنة)، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار –نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي ، دمشق ،سوريا ،عدد 89،ص218.
24. طه(عبد الرحمٰن) ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، (1998)،ص216.
25. الشهري (عبد الهادي)،استراتيجيات الخطاب ،ص5 (من المقدمة)
26. نفسه ، ص47 .
27. سرايعية (ياسين)،إستراتيجية القراءة وتوليد الدلالة في الخطاب الشعري عند أحمد عبد المعطي الحجازي،(مجلة)العلوم الإنسانية ،الجزائر، السنة السابعة ،العدد42 ، (2009)، ص14
28. شيتر (رحيمة)،تداولية الخطاب الشعري(جمهرة أشعر العرب نموذجا)،(أطروحة دكتوراه) ،جامعة باتنة ،الجزائر ،(2008 -2009)، ص160.
29. ينظر: العشي(عبد الله)،زحام الخطابات (مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة)،دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر ، ط(2005)، ص142.
30. طه(عبد الرحمٰن) ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي للنشر، الدارالبيضاء، المغرب، ط1، (1998)،ص152.
31. ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كمال محمد عريضة ، ج2 ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،دت ،ص55 .
32. ابن جعفر ،نقد النثر ، تح: طه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،(1402 هـ) (1982 م)، ص96 .
33. ينظر المتوكل (أحمد)،اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)،منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط(1989)، ص23 .
34. صولة(عبد الله)،الحجاج في القرآن الكريم–من خلال أهم خصائصه الأسلوبية–،دار الفارابي، بيروت لبنان ، ط2،(2007).،ص318.
35. ابن رشد ، البيان والتحصيل ، ج4، ص21 .
36. نفسه،ج 15،ص375.
37. العسكري، الصناعتين(الكتابة والشعر)،تح:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2،(1409هـ)،(1989م) ، ص209 .
38. ابن رشد ، البيان والتحصيل ، ج7 ، ص63.
39. المرجع السابق نفسه ، ص 150.
40. نفسه، ج1 ، ص 264.
41. نفسه ،ج1 ، ص281.
42. نفسه ،ج1، ص55.
43. ينظر: طه (عبد الرحمٰن) ،اللسان والميزان،ص150.
44. نفسه،ص266.